الفصل الخامس

شعر التوسل إلى الله برسوله ﷺ

1 ـ قصيدتان للشاعر «محمد أحمد بن محمد بن الهادي بن محمد المبارك بن علي بن النجيب» في التوسل.

2 ـ قصيدتان للعالم والأديب «محمد بن عبد الكريم المغيلي» يمدح بها رسول الله ﷺ.

3 ـ قصيدة للشيخ «سيدي محمد الكنتي» في التوسل.

4 ـ قصيدة للعالم والأديب «محمد محمود الأرواني» في مدح رسول الله ﷺ.

شعر التوسل

التوسل إلى الله برسوله ﷺ

أضفى الإسلام على نفوس أبناء السودان الغربي مبادئ الحب والوئام والتخلق بالخلق الحسن، وبعث في نفوسهم حب الرسول ﷺ الذي بلغ دعوة ربه أحسن تبليغ، والذي مدحه الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] صدق الله العظيم. وقوله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[2]. وقوله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] صدق الله العظيم. وغيره من مواضع التكريم لرسول البشرية سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الذي أخرج البشرية من الظلمات إلى النور، فأخذوا يمدحونه بقصائد ويتوسلون به إلى الله تعالى عندما تضيق بهم الحالة. وما أكثر ذلك خاصة عندما يشح عنهم المطر، فتجدب الأرض وتموت مواشيهم ويهلك حرثهم.

وقد استغل المستعمرون من أمريكان وفرنسيين هذه الظروف القاسية التي يمر بها أبناء السودان الغربي من المجاعة والفاقة، فأحضروا لهذه الشعوب الحبوب المتعفنة، والتي كان مقررا لها أن ترمى في البحر تحت اسم الإغاثة الإنسانية ولكن في الحقيقة هي المهلكة الإنسانية! كان ذلك في عام 74/1973. وفي 1985 كانت سببا في موت الكثير من أبناء الصحراء بهذه الحبوب التي هي جرعات لقتل بني البشر لا لإحيائهم. وقد عاينتها عند صديق من الصحراء، فرائحتها كفيلة بقتلهم دون أكلها! ولقد شاهدت عشرات من حركات التبشير تجوب منطقة جنوب الصحراء تحت اسم الإغاثة الإنسانية، وهي توزع جرعات الموت، وكل من يريد أن

(1) سورة القلم، الآية ٤.

(2) سورة الحشر، من الآية ٧.

(3) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

يحصل على هذه الكيلوجرامات عليه أن يأتي إلى مركز توزيع الإغاثة، فيأتي سكان الصحراء من مسافات تزيد على خمسين كيلو مترا بوسائلهم البدائية.

وما يفعله المستعمر اليوم في إفريقيا فعله في الماضي مع أبناء أمة العرب. فقد استغل حالة الفاقة التي كانت تعانيها من جراء الحروب التي خاضتها ضده وقدم لها اليد البيضاء المطلية بالسواد من إغاثة وما يعرف بالقرمات عندنا في ليبيا، غير أن الأهالي - رغم حالتهم الاقتصادية المتدهورة - كثير منهم رفض أخذ هذه المعونة المشبوهة، والتي هي سموم تقتل صاحبها تدريجيا. وهذا أحد أبناء ليبيا يرفض أخذها بقوله:

خمسة كيلو ها الشعير بلاهم خير نبوهم عانه للهدير

ونعود إلى صديقنا السابق حول عملية الإغاثة، ففي هذه الظروف القاسية هرع شعراء الصحراء بنظم قصائد توسلا إلى الله - الذي لا يمن على عباده إذا أعطاهم - بأن يخرجهم من هذه الفاقة، ولم يتوسلوا إلى المستعمر الذي يحاول أن يضعهم في حباله. وهذه القصيدة نموذج لهذا التوسل.

والشاعر محمد أحمد بن محمد بن الهادي بن محمد المبارك بن علي بن النجيب شاعر تنبكتي لم تسعفنا المصادر والمراجع التي بين أيدينا في الحصول على ترجمة لهذا الشاعر، غير أننا نستشف من شعره بعضا من ملامح شخصيته، خصوصا ما تعلق منها بثقافته، فشعره دليل على تمكنه من ناصية القول، ومعرفته بأفانين الكلام، ثم إنه يدلنا على روح دينية مرتبطة بالرسول ﷺ، وهو في ذلك يعبر بها أيضا في التوسل الشائع عند شعراء عصره. أضف إلى ذلك أن الإشارات التاريخية المرتبطة بالصحابة من أمثال العباس وحمزة تقدم برهانا على ثقافة تاريخية توحي بتبحر في علم السيرة النبوية، كما أن حديثه عن الجفاف واستسقاءه المطر دليل على معايشته لهموم قومه، وهو أيضا يجعل كيد كل ظالم فى نحره، فهو بذلك مناضل بقلمه وسيفه من أجل الحرية بقوله:

ولقهر كل خصومة في ظالم ولرد كل شماتة الأعداء

وشاعرنا يترجم الواقع الذي عليه حال المنطقة في قصيدتين: الأولى مطلعها:

الله لي في شدتي ورخائي وشفاعة الحب النبي رجائي

والثانيـــة :

أشكو إليك ولا أشكو إلى الناس فقري وذلي وتقصيري وإفلاسي

يقـول محمـد أحمـد بن محمـد بن الهـادي بن محمـد المبارك بن علي بن النجيب :

اللّـه لـــي فـي شـــدّتي ورخائـي وشفاعـة الحـبّ النَّبـــي رجائـي
الله حسبي واعتصمتُ بحبله وكفى وحسن الظن فيه ردائي
والمرســـلون وآل كـــل عدتـــي ثـــم الصحابـــة كلهـــم شفعـائي
يـا مـن إليـه وسيلتي وشكايتـي وحمايتـي فـي الضـــر والسـراء
ووسـيلتي العظمـى إليـك محبـتي لشفيـــع خلقـــك سيد الشفعـاء
نـال الكرامـــة والعـلا مـن ربـه فسـرى فـأدرك فـوق كـل سـماء
ماليـس أدركـــه نبـــي مرســـل كـــلا ولا ملـــكٌ مـــن الكرمـاء
فاستبشـرت بقدومـــه فرحـا بـــه أهـل العـلا طـرًّا بكـل سـماء
ناجـاه رب العـرش في ملكوتـه وأراه للجبـــروت كـــل سـناء
فسقـاه كأسـا للهدايـة فارتـوى مـن كـل نـور فيـه كـل شـفاء
أمضـى فريضتـه فعـاد ولـم يلُـح للصبـح ضـوء مـا مـن الأضـواءِ
صـلى عليـه اللـه أطيـب صلوة تهـدى لمـن هـو أهـل كـل سـناءِ
وعلى جميـع الآل والأصحـاب ما نُـودي الإلـه بأعظـم الأسـماءِ
والأمهـات وكـل تـال سـالك نهـج الهـداة السـادة الأمـراءِ
ياحـيُّ ياقيـومُ يـاذا الجَـود والإ فضـال يـا ذا المـن والإعطـاءِ
يامحسنـا عـم الـورى إحسانـه يامنعمًـا يـا أرحـم الرحمـاءِ
أنت اللطيـف بنـا وأنـت المرتجـى أنـت السميـع لنـا وأنـت الرائـي

أنت المجيب لكل داع مخلص ... يدعو بكل سمى من الأسماء
أنت المجيب لمن دعا متواضعًا ... متوسلا يدعو بكل دعاء
أدعوك ممتثلا لأمرك فاستجب ... أرجو رضاك وأرجو منك فدائي
يارب بشر بالكرامة والرضا ... بِنُبْلِ فضل شفاعة الشفعاء
يارب بالعباس عم المصطفى ... ربّ بحمزة سيد الشهداء
ربِّ اسقنا غيثا سريعًا طيبا ... من ديمة من رحمة هطلاء
سهلاً مريعا نافعًا أم صيِّبا ... عذبًا طهورًا فيه كل شفاء
جونًا غزيرًا بل خريفًا سق لنا ... بالرفق أنت مقدر الأشياء
يروي البلاد مشارقا ومغاربا ... بين الصباح وبين كل مساء
يروي نبات الأرض بين هضابها ... يروي ذوات الدر والأبناء
تحيي به جُزرا بقاعًا بعدما ... قحطت وماتت أيما إحياء
ولتنبتن به جميع الزرع في ... كل المنابت مُنشئ الأعضاء
زوجا فزوجا من نبات طيب ... مثل الدبا والنخل والقثاء
ترعى البهائم كل روض رائق ... ذي بهجة وحديقة غناء
فتظلُّ طورًا تجتنيه وتارةً ... تأوي إلى خلج به من ماء
فإذا ارتوت تلطت بالت بعدما ... اجترت بما نالت من النعماء
فتفيض أخلافٌ بكل تشخبُ ... وتؤوب رائحة قُبيل مساء
سببا يكون لطاعة لافتنة ... تخشى عواقبها بكل ملاء
سببا يكون لتوبة أرجو بها ... محو الذنوب وجلب كل رخاء
سببا يكون لدفع كل ضلالة ... ولدفع كل مضرة وبلاء
ولقهر كل خصومة من ظالم ... ولرد كل شماتة الأعداء
أوذاك أم خوضا نقيا أرتجي ... بكمال فضلك واسع الإعطاء
أعددته للطائعين نهارهم ... وبليلهم يبكون كل بكاء
يرجون قرة أعين من ربهم ... وشفاعة من سيد الشفعاء

* * *

وقال الشاعر محمد أحمد بن محمد بن الهادي بن النجيب أيضا :

أشكو إليك ولا أشكُو إلـى النَّـاس ... فقري وذلـي وتقصيـري وإفلاسي
أشـكو إليـك مـع التسـليم مبتهـلا ... فأنـت مـن لجـراح الملتجـي آسِ[1]
فالطُف بنا فـي مجـاري مـا تُقـدرُه ... يامـن مقاديـرُه تجـري بقسطـاس
ولا تكلنـــا إلـى تدبيـــر أنفسنـــا ... واجـعل هـداك محجتي ونبراسـي[2]
واصحب بلطفك في الحالات يا أملي ... واجعل بذكرك ربي طيب أنفاسـي
وخـذ بنـا للنجـــاة مسلكـــا أمـما ... ينجي من الهَلْكِ والبأساء والبـاس[3]
أسـبغ علينـا دلاص عصمـة ونجا ... من موجب المقت والبلوى والإبلاس[4]
وارمِ الـعدا بسهـام البطـش هائبـة ... مسوّمـــات لعـــاتٍ قلبـــه قـاسِ[5]
ورُد مـن رامنـــا بمكـــره وبغـى ... أذل من رمـت مـن مستهلكِ خاس[6]
وانصر وظفـر وأثرنـا وكـن عضـدًا ... به المصال عـلى تهويـس الأهواس[7]
ولاتهنـا ولاتشمـــت بنـــا أحـــدا ... يـا مـن عنايتـه حـرزي وحُرّاسـي
ومن نواصي الورى مكن يدي وأعن ... عـلى التكاليف يا من ليس بالناسي
وسخـر الكـون واصحبنـي بعارفـة ... من سر لطفك تغنيني عن اجناسي
وكـف عنـا أكَـفّ الماكريـن بنـا ... وابن على الرشـد والإيقان أساسي
واجعل براجـم راحـتي مقالـد مـا ... يرتاح مـن روحـه مأسـور إبـلاس[8]
وشَـق قلـبي وامـــلأه مناســبةً ... من صفو خالص ما أفرغت في الطاسِ
واجعـل غذائـي أسـرارا مقـدسـة ... تسرى دبيبا إلى مفارق الراس

---

(1) الآسي : الطبيب.
(2) المحجة : الطريق. والنبراس : المصباح.
(3) أمما : قريبا.
(4) الدّلاص : الدرع سواء كان الحديدي أو المصنوع من الجلد. والإبلاس : السكوت من خوف.
(5) عات : ظلوم. قاس : من القساوة.
(6) خاسي : طريد.
(7) العضد : النّاصر. والمصال : القتال.
(8) البراجم : مفاصل الأصابع، إذا قبضت كفّك نشرت وارتفعت.

واجعل عيون معين النفع جارية ... على يديّ إلى جداول الناس
وسخر الكون واطو البون ياصمدٌ ... إحسانه لعوار المعتري كاس[1]
واكف الشرُور وهييء الأمور ولا ... تُمهل على فرقة الضلاّل الارجاس[2]
وخُذهُم أخذ من عاجلت منتصرًا ... لدينك المرتضى ياخير نفاس
أغر بهم كل شائك بشوكته ... وضابث بأظافير وأضراس[3]
حتىّ يصيروا لدى أشكالهم عبرًا ... إذ أصبحوا أثرا من بعد إيناس
واجمعهم بحجارة الوبال فلا ... يشذ منهم عن المرمى أخو باس
ياربنا واعفُ عنا ياعفُوٌّ وجُد ... بالنصر يا ناصرًا سلطانُه راس
ولاتغير علينا نعمة سبغت ... يامن يمن بلا حد ومقياس
وَصَلِّ أزكى صلاة بالسلام على ... مُصاص قهر وصفو جذم إلياس
والآل والصّحب ما وافى أخو كرم ... يشكو إليك ولا يشكو إلى الناس

* * *

قصيدة للعالم والأديب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وهي لون جديد من ألوان المدح لرسول الله ﷺ.

نبذة عن حياته:

ولد العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي عام 790م في مدينة تلمسان بمنطقة مغيلة. نشأ في مدينة تلمسان ذات التاريخ الحضاري في بيت عريق عرف بالحسب والنسب. وكان من المثقفين القلائل في بلده، تربى على يد أبي العباس الوعليسى ودرس القرآن الكريم وأمهات الكتب على يد سيدي أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما درس العلم على يد آخرين، وقد عرف بنبوغه الفكري المفرط.

رحلاتــه :

بعد تمكنه من العلم اتجه صوب توات، ومنها انتقل إلى مدينة أقدز حيث بنى فيها

(1) البون : البعد. والعوار : العيب.
(2) الأرجاس : جمع رجس.
(3) الشائك : ذو الشوكة.

مسجدا وأخذ يعلِّم العلم، ومن بَعْدُ غادرها إلى كانو، ومنها إلى مدينة جاو عاصمة إمبراطورية سنغاي حيث التقى بالحاج إسكيا محمد وأجابه على مجموعة من الأسئلة قام بتحقيقها زيادية وحمشويك، يجيب فيها على أسئلة أسكيا الحاج محمد. وفي هذه الأثناء سمع بمقتل ابنه عبد الجبار من طرف اليهود، فحزن لذلك أشد الحزن وأراد الرجوع إلى توات، إلا أن نية أداء فريضة الحج كانت قد سبقت ذلك، فذهب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

مناظراتــه :

حدثت له مناظرة مع الشيخ جلال الدين السيوطي حول قيمة دراسة علم المنطق، وكيف أن السيوطي عنده تحفظ على هذا العلم، فكتب له المغيلي قصيدة في هذا الخصوص نورد أبياتا منها للتدليل على ذلك، يقول فيها:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وقل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن للمرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلاعبارة ... عن الحق أو حقيقة حين جهله

فرد عليه الشيخ جلال الدين السيوطي بقصيدة نورد منها بيتين يقول فيها:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله ... أتاني عن حبر أقر بنبله
سلام على هذا الإمام فكم له ... لدي ثناء واعتراف بفضله

ومن هنا ندرك قيمة هذا العالم الذي وقف الشيخ جلال الدين السيوطي أمامه مذهولا لتبحره في العلم.

وفاتــه :

توفي العلامة ابن عبد الكريم المغيلي عام 909 هـ بقصر بوعلي التابع لزاوية كنته حاليا بعد رجوعه إلى توات.

ونلتمس من القارئ العذر على هذه المعلومات المقتضبة عن هذا الحبر الذي ذاع

صيته، فهو نار على علم.. ونعد القارئ الكريم أنه سيقدم عمل في المدة القريبة حول مدن وأعلام السودان الغربي. وعالمنا أحد الشخصيات التي سنتناولها بتفصيل إن شاء الله.

وقصيدة المغيلي التي نحن بصددها هي في مدح رسول الله ﷺ، وتحتوي على ثلاثة وعشرين بيتا تترجم إيمان الرجل وتمكنه من اللغة العربية وبلاغتها يقول في مطلع القصيدة :

بشراك ياقلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

فمن خلال القصيدة نلمس، كما سنرى، أن المغيلي يهرع إلى رسول الله ﷺ ويطلب منه الشفاعة عند الله من الذنوب التي اقترفها، وجل العلماء والصالحين رغم أعمالهم الصالحة التي يقدمونها وقلة وقوعهم في الزلل، إلا أنهم شديدو الخوف من غضب الله وعدم دخولهم إلى الجنة.

فنجد في أشعار الصوفية كثيرا من هذا الصنف، فعلى سبيل المثال يقول الصوفي يخاطب نفسه عند رحيله من دار الفناء إلى دار البقاء:

زادي قليـــل مـا أراه مبلغـي أَلِـزّاد أبكـي أم لبعـد المسافتي
أتحرقـني بالنـــار ياغايـة المنـى وفيـك رجائي فيـك كـل رجائي

* * *

وهذه قصيدة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي يقول فيها:

بشراك ياقلـب هـذا سـيد الأمـم وهذه حضـرة المختـار فـي الحـرم
وهـذه الروضـة الغـراء ظاهـرة وهـذه القبـة الخضـراء كالعلـم
ومنبر المصطفى الهـادي وحجرتـه وصحبـه وبقيـع دائـر بهـم
فطب وعـف همومًا كنت تحملهـا وسل تنل كل ما ترجـوه مـن كرم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي يامن لقاصده أمن من النقم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي فبحر جودك مورود لكل ظم
ياسيد الرسل يا من ضيف ساحته يبيت في الأمن في خير وفي نعم

يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل ... يا أفضل الناس في ذات وفي شيم
يا أشرف الأنبيا يامن شفاعته ... عمت على الخلق في الوجدان والعدم
ياصفوة الله يا مولى مكارمه ... عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقير إلى عفو ومرحمة ... وأنت أدرى بما في القلب من ألم
وقد أتيتك أرجو منك مكرمة ... فأنت أهل التقى والجود والكرم
فالحال يغني عن الشكوى إليك وقد ... عرفت حالي وإن لم أحكه بفم
فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد ... أودى به الكسر مما نال من جرم[1]
يا أحمد يا أبابكر وياعمر ... نزيلكم في أمان غير منهضم
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكم ... سعيا على الرأس لاسعيا على القدم
وآت من أم القرى يرجو اللقى كرما ... لسادة هم بحور الفضل والكرم
فإن قبلتم فإني مفلح بكم ... في زورة واقتراب وافر القسم
يامن أجل ملوك الأرض قاطبة ... في باب فضلهم من أصغر الخدم
فهل عسى نظرة منكم لزائركم ... يغني بها عن جميع الخلق كلهم
محمد وضجيعاه اللذان بهما ... طبنا وغبنا عن الخسران والندم
يارب يارب يامولاي عبدك في ... باب الرجا يرتجي أمنا من النقم

* * *

كما نجد شاعرا صحراويا آخر يسلك نفس المنهج الذي اختطه الشاعر محمد بن النجيب، ألا وهو الشيخ سيدي محمد الكنتي في قصيدة عدد أبياتها أربعة وسبعون بيتا 74، يطلب فيها من الله أن يخرجه من فاقته ويتوسل برسول الله ﷺ.

نبذة عن حياة العالم والأديب سيدي محمد الكنتي :

ولد العالم والأديب الشيخ سيدي محمد الكنتي عام 1765، وهو الابن الخامس للشيخ سيدي المختار الكبير. وقد ظهر نبوغه العلمي منذ نعومة أظافره وشخصيته القيادية، الأمر الذي جعل والده يهتم به اهتمامًا خاصًا، إلى أن اصطفاه من بين

(1) الجرم : الإثم والذنوب.

إخوته ليكون خليفته من بعده. وقد تقلد قيادة كنتة بعد وفاة والده عام 1811، وعرف عنه طيلة فترة حكمه الحنكة والدراية والعدل بين رعيته، إلا أن فترة قيادته لم تدم طويلا، فما هي إلا خمس عشرة سنة انتقل بعدها إلى جوار ربه عام 1826 ودفن بجوار والده في أبو الأنوار وهي مقبرة لرجالات كنتة.

وبالرغم من قصر هذه الفترة إلا أنه أسدى أعمالاً جليلة يستحق عليها الشكر والثناء. فقد ترك لنا آثارا تاريخية وأدبية، فالآثار التاريخية تتمثل فى مخطوطة «الطرائف والتلائد فى كرامات الشيخين الوالدة والوالد»، وهو مخطوط نفيس يتناول جوانب من حياة عرب جنوب الصحراء.

أما الآثار الأدبية فإنها تتمثل في أشعاره المتعددة. وهذه القصيدة التي بين أيدينا واحدة من عشرات القصائد التي تغنى بها الشيخ سيدي محمد.

يقول الشيخ سيدي محمد الكنتي :

يارب أوفي حيلة المحتال ... لجأ إليك بذلة وسؤال
وتضرع وتخضع وتخشع ... وتوسل بالمصطفى والآل
أوفي الصلاة عليه منك بلا مدى ... تمتد في الأزمان والأحوال
يارب كفر بالمتاب ذنوبنا ... واغفر لنا واصفح عن البطال
يارب فرج كل داء دائم ... يا كاشف الأهوال والأكحال[1]
يارب نفس كرب كل شديدة ... يامنقذا لحالي من الأوحال[2]
يارب ضاف خناق من عودته ... لطفا يدك رواسي الأجبال
يارب أسبل من خزائنك الملا ... غيثًا يُغيث بصوبه الهطال
يارب نشكو بالمقال وتشتكي ... أنعامنا ومصالها بالحال
يارب رفقا بالعيال فإنه ... شأن الكريم الرفق بالأثقال
يارب عان لم ترش لم ينتعش ... والفائز المحبو منك بنال[3]

(1) الأكحال : شدة المحل.
(2) الأوحال : جمع وحل، وهو الطين.
(3) النال : العطاء.

يـارب أرجـاء الفضـا مغبـرة ... جالـت بهـا الأرواح كـل مجـال
يـارب فانسخهـا بمـزن حفـل ... جـون تجـود بوابـل ذيـال[1]
يـارب جـلل عـرى كـل بريـة ... وخميـلة وشـي الكـلا يـاوال
يـارب اخلـف كـل ظـن ربـه ... مـن حـدس خراص وصاحب فال[2]
يـارب إن لم تستجب دعـوى أخي ... حوجـا فمـن نرجـوه للإنـزال
يـارب أخلـف كـل نجـم ناجـم ... وطحا الجهـام بغيمـه الجـوال[3]
يـارب بـرد مـن لظـى أنفاسـها ... بالعذب مـن صفو الحيـا السلسـال
يحـدو بـه يـارب منهـا راعـد ... ويسوطـه إن كـع سـابط آل[4]
يـارب قـد قنـط الأنـام فأنزلـن ... غيثـا مغيثـا دائـم التهطـال
يـارب وانشـر رحمـة وسـع بهـا ... تحيـي مـوات البيـد والأطـلال
يـارب أدركنـا بلطـف منعـش ... لكبارنـا وصغارنـا والحـال
يـارب قـدس بالزكـاة نفوسـنا ... وانصـر عـلى القرنـاء والأقتـال[5]
يـارب طيـب بالتـقى أنفاسـنا ... والذكـر والإخـلاص والإقبـال
يـارب أنهكنـا بعـذب بـارد ... من صفـو عـلم بالمعـارف حـال[6]
يـارب وارفـع دون لائحـة السـنا ... ومشاهد الزلفـى غطـا الأسـدال
يـارب أرشدنـا لكـل رشـيدة ... في الفـال والأحـوال والأفعـال
يـارب لاتهتـك سـتورا صنتـها ... بعنايـة الإرفـاد والإرفـال[7]
يـارب لاتصـرم من أشطـان الـولا ... والقـرب والزلفـى إليـك حبالـي

---

(1) الحُفل : المليء بالماء.

(2) الخراص : القوال بالظن.

(3) ناجم : طالع. وطحا : انبط. والحمام : السحاب الذي هراق ماؤه.

(4) يحدو به : يسوقه. ويسوطه، يخلطه أو يضربه بالسوط. وكع : فتر؛ أي تباطأ عن المسير.

(5) الأقتال : جمع قتل بالكسر؛ وهو العدد.

(6) أنهكنا : بالغ في سقينا.

(7) الإرفاد والإرفال : التعظيم.

يـارب حلل عقدة..... الآزال بعـــوارض تهـمي بعـــذب زلال[1]
يـارب بالـذات العزيـز جلالهـا وبما لهـا مـــن عـــزة وكمـــال
يـارب لاتجعـل عقوبـــة مـن أسـا في فطح واصـل رزقـه المتوالـي
يـارب بالإســم العظيــم وما بـه سميـت نفسـك فـي عمـى الآزال[2]
يـارب أرسـل ديمـــة تنهـل مـن تجويـف ميـم الرحمـــة الهطـال
يـارب بالذكـر الحكيـم بآيـــة بحروفـه بالنقـــط بالأشـــكال
يـارب طيـب بالهنـا جـرم الهـوا وطـارق الأوخـام والزلـــزال
يـارب بالهـادي الأمـين المصطـفى والأنبيـا وطوائـــف الإرسـال
يـارب لاتحمـل علينـا إصـر مـن حملتـه ثقـلا مـــن الأثقـــال
يـارب بالبيـت الحـــرام وركنـه بمطافـــه ومشاعـــر الإهمـــال
يـارب أسـعفنا بعـين مرادنـا واجعـله مرضيـا بـــلا إخـــلال
يـارب بالقلـم المصُـون ولوحـه والعرش ذي المجد الرفيع العالـي
يـارب سـخر عالـم الدنيـا لنـا خلـوا مـن الأوجـاع والأوجـال
يـارب بالغـوث المقـــرر رسمـه وسطى لنظـم قلائـــد الأبـدال
يـارب طيـب جـرم لـوح أغبـر عـات بهيـب دائـم الإرســـال[3]
يـارب بالأقطـــاب بالأوتـــاد بالاخيـــار بالنجبـــاء بالعمـــال
يـارب جلبينـــا جلابيـب الهنـا والأمـــن والإيمـان والأفضـــال
يـارب بالسبـــع المثاني والنسا والبكـــر والأنعـــام والأنفـال
يـارب كد من كادنـا وابطـش بـه وارجمـه فـي جـب الـردى بخبال
يـارب بالعـين المحيطـة بالحمـى وبحـرزك الحتمي مـن الصـــوال
يـارب حطنا مـن شبا نـاب المخـو ف ومـا يسـوء وصائـل الأفـلال[4]

---

(1) الآزال : الشدة والضيق.

(2) العمى : الطول.

(3) الهيب : ريح تأتي في الصيف من جهة الجنوب وترفع حرارة الأقاليم التي تمر بها.

(4) الشبا : جمع شباة؛ حد كل شيء.

يـارب بالظـاء الرشـيق ولامـه ... والجيـم والقـاف العظيـم البـال
يـارب طـوع لليمـين مـن الـورى ... أبرارهـم وشـرارهـم لشمـالي
يـارب بالنـور الـذي سجدت لـه ... لما تهـلل سـائر الأشـكال
يـارب طـوع كـل نفـس صعبـة ... بالقهـر والتسخيـر والإذلال
يـارب بالعـز الـذي خضعـت لـه ... شـم الملـوك وشامـخُ الأجبـال
يـارب سخر لـي العـوالـم مثـل ما ... سخـرت بحـرك للكليـم النَّـال[1]
يـارب بالسُّعـدا الذيـن بيمنهـم ... فضـلا تلبـي دعـوة السّـؤال
يـارب قابـل بالإجابـة دعوتـي ... فـرتب أحوالـي وينعـم بالـي
لبيـك يـارب الـورى فأجـب فمـا ... أرجو سـواك رب فـي الآمـال
لبيـك مولانـا الكريـم فأولنـا ... نعمـا وخصبـا سابـغ الأذيـال
لبيـك يـا حنـان يـا منـان يـا ... رحمـن يـا غفـار يـا متعالـي
لبيـك داركنـا برفـق منعـش ... للحـال والماضـي والاسـتقبال
لبيـك يـا فتـاح يـا وهـاب يـا ... رزاق بـر بالشجـى والخـالـي
لبيـك أرزاق العبـاد أدرهـا ... واقسـم لنـا الأوفـى بـلا مكيـال
لبيـك جبـار السمـوات العلـى ... والأرض قيـوم الجميـع الوالـي
لبيـك لو عاجلـت بالظلـم الـورى ... عـدلا لعمهـم الـردى بوبـال
لكـن بحلمك يا حليـم غمرتهـم ... فبسطـت فـي الأرزاق والآجـال
فبفضل حلم منك عـد وأفض حيا ... يحـيي مـوات الوعـر والإسـمال
واعف وعـاف مـن البلايـا والفنا ... صـرف الزمـان وفتنـة الأمهـال
وانصر علـى دهـر كساه عبوسـة ... نكـد الغـلاء ودائـم الأمحـال[2]
بعوارض الديـم العـوارض فائض ... الـرزق الوسـيع الوافـر المتتـالي
وأدم عـلى فخـر السـنا أسنـى الثنا ... فـي صحبـه شـهب الدجـى والآل

(1) النال : الجواد.
(2) النكد : الضيق والكمد.

أزكـى صـلاة يستهـل سـحابها ... وأتـم تسليـم عـلى منـوال
ما فـرج الـرب الكريـم بجاهـه ... كُربـا تحيـر حيلـة المحتـال

* * *

وقـال أيضـا :

يادائـم الإحسـان والمعـروف ... وافيـت بـاب نـوالك المألـوف
وطرحت أثقـال اضطـراري بالفـنا ... وشـكوت دهـرا آزمـا بصـروف[1]
رجمـت نوائبـه بكـل شـديدة ... فنهـاره ليـل بجنـح شـظـوف[2]
دهـر أثقـل سمومـه لحـروره ... وقضـاؤه مـن زعـزع وهيـوف[3]
لاتخلـف الأرواح فيـه وعودهـا ... وبوعـدهـا مـزن الحيا لـم تـوف
بخلـت بـه كـف الحيـاء وأعقمـت ... رحـم العـراء بزهرهـا المقطـوف
خابـت ظنـون الناظريـن لموعـد ... مـن نـوءِ نجـم كـاذب مخلـوف
ولـنـا بوعـدك يا كريـم تعلـق ... بإجابـة المتكفـف الملهـوف
نحـن العيـال وإن جنينـا غـرة ... بجميـل حلمـك رب والمعـروف
فاغفر وتب واصفـح عـن الجانين ... من أهل الجفـا والمذهـب المـأووف[4]
وأقـل عثـار العاثـرين بتوبـة ... واستـر بسترك عـورة المكشـوف
وأرح سـواما شـفها جـدب الفـلا ... ومحـول مرعاهـا وطـول مصيـف[5]
وأغـث بغيـث نافـع رغـد الحيـا ... جـود يصـوبُ بصيـب ووكُـوف
ينهـل واكفـه عوارضـه عـلى ... عطـش الفـلا ومسافـح وحفوف[6]
تحيا البلاد فتكتسي من سـندس الأ ... زهـار وشـي مطـارف وشـفوف
يحـدو بـه رعـد تجلجـل موهنـا ... فكأنمـا هـو ضـارب بدفـوف

(1) الأزم : الذي يعرف بشدة القحط. والصروف : النوائب.
(2) الشظوف : الشدائد.
(3) الزعزع : الريح الشديدة
(4) المأووف : المصاب بآفة مهما كان نوعها.
(5) السوام : الماشية. وشفها : أهزلها.
(6) المسافح : الأمكنة التي تصب الماء. والحفف: ما اعوج من الرمل؛ والحفوف جمعه.
(7) المطارف : جمع مطرف وهو الرداء. والشفوف : الثوب الشفاف الرقيق.

تمرى سحائبه الجنوب فتنهمي ... نَجًّا بما في بحرك المكفوف
بمزاج تسنيم تعل به البرى ... محمود طالعه المغب كثيف
لاينثني لعظيم ما اجترح الورى ... من سوء معتقد وشؤم قروف[1]
هي أمة مرحومة ونبيها ... ذو الرحمة المهداة للملهوف
هو قد دعاك لها بأن لا ترد بالسـ ... ـنة الجماد وكان جد رؤوف[2]
فأجبت دعوته وأنت مجيب من ... يستعف أو يستكف منجم خوف[3]
فأجب دعانا يا كريم فإننا ... ضعفاء تكفل بالمنا وخريف
كم نعمة لك لا يقام بشكرها ... وأليت واصلها بلا تطفيف
فأدم خمائل ما مننت به ولا ... تقطع عوائد برك المعروف
برب يا رباه يا رباه يا ... من عم بالتكليف والتعريف
فرج كروب المسلمين فحاجهم ... وقف عليك وضيعهم وشريف
بجلالك الأسنى بذاتك بالسنى ... بجمالك الأبهى بلا تكييف

* * *

وهذه قصيدة في مدح الرسول ﷺ للعلامة محمد محمود الأرواني :

هذي معالم طيبة الأنوار ... لاحت لنا والحمد للجبار
هذي النخيل لطيبة وربوعها ... مثوى النبي المصطفى المختار
هذي ديار محمد وبلاده ... خير البلاد وخير كل ديار
هذا البقيع وذا المصلى حبذا ... بلد الحبيب خيار كل قرار
بلد به سكن النبي وآله ... ومهاجرو الأصحاب بعد استغفار
بلد به جبريل كان مرددًا ... ومنزلا للوحي والأسرار
يانفس هذا وقت وصلك فارتعي ... وتمتعي في روضة الأزهار
يا نفس هذا قبر أحمد سلمي ... وسلي المراد به على التكرار

(1) القروف : الكثير البغي.
(2) السنة : التي لم يصبها مطر.
(3) منجم : الطريق.

يا خير خلق الله جئتك زائرا ... أرجو رضاك بحرمة الزوار
فلك السلام من المهمين دائما ... ولصاحب لك في ظلام الغار
ولصاحب وخليفة لكما أبي ... حفص مبث الدين في الكفار
يارب إني ليس لي إلا الدعا ... متوسلا لك بالنبي مزاري
وظلمت نفسي ثم جئتك تائبا ... متشفعا به بعد الاستغفار
إني مقر بالعيوب جميعها ... فاقبل متابي وارحمن أعذاري
واغفر ذنوبي كلها فيما مضى ... والحال والآتي على استمرار
ثبت بلوحك يا كريم سعادتي ... ولذاك توفيقي وجبر عثاري
وأجب دعائي في هنا وبكل ما ... وقت بيوم أو دجى الأسحار[1]
أنت الذي بشرتنا بإجابة ... في قولك ادعوني وفي الآثار
أنت الذي يسرت وصلي بالمنى ... من شاسع البلدان والأقطار
وبك النسيم لنا بروضة جنة ... قد فاح فوق المسك والأعطار
يا خاتم الرسل الكرام قصدتكم ... متوسلا بك في قضا أوطاري
أرجو من الله الكريم بجاهكم ... غفران ذنبي أول أوطاري[2]
وهدى لنفسي لا ضلالة بعده ... وسلامة من كل ما الأخطار
والحفظ للعلم النفوع جميعه ... والفهم فيه بكل ما الأسطار
وتقى يزيل عيوب نفسى كلها ... وثبوتها بطريقة الأبرار
حتى يرى هدي النبي جبلتي ... وشعاري القرآن مثل دثاري[3]
مع طول عمر في العبادة دائما ... وهداية الجهال والفجار
وغنى أدوم على أداء حقوقه ... مع صالح الأولاد والأذراري
ووقاية في الدين والدنيا وفى ... وضعي بقبري خمسة الأشبار

---

(1) بكل ما وقت: ما زائدة.
(2) أوطاري : مخفف طاري.
(3) الجبلة : الطبيعة. والشعار : ما يلي الجسد من الثياب.

والحفظ من نفسي وإبليسي الهوى ... ومن الدنى والذل والإعسار
وقضاء كل مآربي ومقاصدي ... وحوائجي في ذي وتلك الدار
ولوالدي جميعهم ومشائخي ... وقرابتي كلا مع الأصهار
وأحبتي والمسلمين جميعهم ... ولكل من أوصى ومن في الجار[1]
أرجو بجاهك للجميع شفاعةً ... والعفو والغفران من غفّار
ورضا الإله لكُلنا وسلامة ... من كل خزي أو عذاب النار
بل لا وجاهك عند ربكَ فضلهُ ... قد جاء في القرآن بالأشهار
أنت الذي من نورك الأنوار قد ... خلقت وكل الفضل والأخيار
والأنبيا قد أخبروا بك كلهم ... وتوسلوا بك عند ذا القهار
وولدت تذكر ساجدا متطهرا ... حقا من الأدناس والأقذار
في ليل مولدك العظيم تساقط الـ ... أصنام والكهانُ بالإدبار
والنار قد خمدت وغاضت ساوةٌ ... وانشق إيوان لذي الأشرار
والقلب وقت صباك شق تطهرا ... من حظ شيطان وذي الأغيار
ملؤه بالعلم الحقيقي حكمة ... فبدا هناك الأمر باستقرار
والفيء مال إليك بعد غمامة ... قد ظللتك برؤية الأبصار[2]
فلك السيادة في الورى إرسالها ... أملاكها والأنبيا الأصدار
ولك الرسالة في الخليقة كلها ... من مالك الإيراد والإصدار
أنت الذي عرق البراق لفضله ... في ليلة الإسرا لرب سار[3]
وبلغت مالم يبلغن ملائك ... وعلمت مالم يعلمن القاري[4]
رفع الحجاب حجابكم ودنوت من ... قرب بلا كيف ولا إحصار
أوحى إليك أوامرا ونواهيا ... وعبادة جاءت على المقدار

---

(1) الجار : الجوار.
(2) الفيء : الظّل.
(3) قوله «لربّ» يتعلق «بسار» الذي هو حال، ووقف عليه بالسكون ضرورة أو على لغة ربيعة.
(4) القاري : مخفف القاريء.

فأتيت بالقرآن أعجز ما يرى ... بشريعة طهرت من الأكدار
أهل البلاغة والفصاحة كلهم ... عجزوا ذوي نثر وذي أشعار
بل أعجز الثقلين عن أن ياتيا ... من مثله في أيما الإعصار
فانقاد من شاء الإله صلاحه ... باء الكفور بعجزه ووبار[1]
ثم العدا أعداك عادوا كلهم ... بدعاك صرعى في قليب ناري[2]
قد مدك المولى بجند ملائك ... قطعوا أصول الكفر باستصغار
فانفل جمعهم بدين حقيقة ... تعسوا لعًا لهم بكل العار[3]
فسقيتهم سم الحسام بهذه ... وبتلك سقياهم بآني القار[4]
والله أظهر دينه بظهوركم ... حقا عليهم أيما إظهار
فهناك قد مات الحسود بغيظه ... ولبئس مأوى الغادر الختار[5]
أما الذين هداهم الهادي إلى ... نور الهدى قد آمنوا بوقار
والله من عليهم إذ أخرجوا ... من غيهب الخسران والأوقار[6]
فأجاب كلهم دعاك ببذلهم ... للنفس والأموال باستنفار
قد جاهدوا والله دون غنيمة ... لحياتهم في الموت دون ضرار
ولك انشقاقُ البدر جاء مثبتًا ... في المسندات صحية الأخبار
كم من عليل قد شفاهُ شفاكُم ... وبلمس راحتكم بفضل الباري[7]
وكذاك نسج العنكبوت بغاركم ... وعجائب في الغار للأفكار
أنت الذي نبع النمير بكفِّه ... قد فاق ماء البحر والآبار[8]

---

(1) وبار : رجع عن غيه.

(2) في قليب نارى : إشارة إلى موقعة بدر التي كانت أول لقاء بين الإسلام والكفر.

(3) انفل : انهزم وتراجع.

(4) القار: القطران . والآني : البالغ النهاية في شدة الحرارة.

(5) الختار : الغادر.

(6) الغيهب : الظلمة. والأوقار : الأحمال؛ جمع وقر.

(7) الباري: مخفف الباريء.

(8) النمير : الماء العذب.

والشاة درت والحجارة سلمت ... والجذع حنَّ كمشية الأشجار
والذئب أعجب من فصاحة قوله ... والضبُّ أعرب عنك بالإقرار
وانهل قطر السحب عند دعاكم ... في سبعة بالوبل والمدرار
حتى أتاك مريدها إذ ملها ... فدعوت فانجابت إلى الأغوار
وكذا الذراع بسمه أبدى لكم ... وشكا البعير إليك بالإكثار
والبئر فيه ملوحة وبتفلة ... قد صار حلوى دونما إسكار
وكذا الغزالة سلمت وبكفكم ... صم الحصى سبحن بالإذكار
وجريدة صارت أشد مهند ... من لمس كفك دونما إنكار
والعين نائمة وقلبك ناظر ... والعقل لايسهو عن التذكار
أشبعت أفواجا بمد واحد ... وسقيتهم بأنامل الأمطار
لا ظل لا أثرا لمشيك سيدي ... والطول يقصر معك في التسيار
كم آية لك لا تحد لواصف ... آياتكم جلت عن الأسفار
فلك انتهى في الفضل كل فضيلة ... ولك انتهى في الفخر كل فخار